

نقته مصدر مسلم

نشرت الصحف أن المحاكم الإسرائيلية ستطبق قوانينها على أرض المسجد الأقصى!

شعر: محمد التهامي

أيها المسلم ماذا تقصِدُ؟
أنت يا مسلمُ أبطأت الخطى
لم تقم للفرض في ميقاته
فسهوتُم عن صلاة حُرّة
أذن الأقصى لى أوقالاتها
كان يدعوا لتهبوا نجدة
فكصتم في ضياع مطبق
فانبروا فيها صغارا وحدهم
أشعلوا النيران في أجسادهم
وأضأوا في غيابات الدجى
فاتهم أن الدجى أغرقكم
قامت الدنيا قياماً حولكم
قد غفوتُم فهوت دنياكم
وغدوتُم قشة في لجة
وحصاذا العيش في أوطانكم
قد ذوى إيمانكم حين ارتقى
فاسألوا أسلافكم في مجدهم
لو صحوتم لسمعتهم قولهم
واسألوا الأعيان عن إيمانكم
إن خبا الإيمان في أعماقكم
فاتركوا الإسلام في عليائه
قد حواكم في سنا أنواره

لم يعد في ذا المكان المسجِدُ !!
وتوانيت، فضاء المؤعد
بل تركت العُمُر منا ينقد
لو أقيمت ما دهانا المعبد
ودعاكم صارخا يستنجِدُ
لم يكن في ظنّه أن تبعدوا
لم يقم سيفٌ ولم تُرفع يَدُ
سددوا أحجارهم واستشهَدوا
ثم ظنوا أنها لا تخمدُ
عن يقين أنكم لن ترقدوا
لم يعد فيكم سراجٌ يوقدُ
وارتضيتُم وحدكم أن تقعدوا
صوّح المجد وضاع الشؤددُ
ردّها الطوفان عما تقصدُ
مستباح داسه من يحصدُ
من لغير الله فيكم يسجدُ
هل سوى الرحمن ربُّ يعبدُ؟
صادق الإيمان لا يستعبدُ
هل بها شيء عليه يشهدُ؟
فضياع الكل لا يستبَعُدُ
قد عجزتُم — ويلكم — أن تصعدوا
فأبيتُم في السنّا أن تهتدوا

حديث الريح لداود معلا*



بقلم: حيدر قفّة

شاعرنا داود معلا كسائر الشعراء، عنده الشعر الجيد الذي يرقى إلى مصاف شعر الشعراء الكبار، وشعر دون ذلك، وله أبيات في قمة الروعة، وأبيات حُشرت حشراً لتكملة القصيدة، وقد كادت أن تخلو من الشاعرية.

الداخل مثل قصيدة «المسير إلى اليوم قبل الأخير ص ٣٧» .
٤ - رغبة الشاعر في أن يبدع قصيدة طويلة ظهرت في قصيدته «إلى حفيدي بشار ص ٤٧» فهي تحتوي على عدة مقاطع، كل مقطع يشكل وحدة مستقلة، لكن في القصيدة مقاطع جيدة، كما في البداية، ومقاطع دون ذلك، حيث الضعيف الفاتر.
٥ - الشاعر متمكن من لغته الشعرية، ومن إبداع الشعر ذي الشطرين، لكنه - وأحسبه تقليداً للساند - جنح إلى شعر التفعيلة، أو الشعر الحر - ولا أجد ضرورة لذلك - فجاءت قصائده هذه ضعيفة جداً، لا تليق به، فهي تشبه بدايات الشعراء في فترة التجريب خلال سني مرحلة الدراسة الثانوية، فضلاً عن الإغراق في الرمز، الذي أفقد القصائد خاصية الدخول المباشر للقلب، والعلوق به، فما فائدة قصيدة لا يفك طلاسمها إلا قائلها؟!
٦ - الشاعر يبدأ بدايات غزلية رقيقة رائعة، لكنه لا يلبث أن يهرب من هذا الجوى، ويحول غزله جهة الوطنية أو الإسلامية، فلم هذا الهروب؟ هل الغزل العفيف مما يعاب عليه؟ أم أنه - وقد أصبح جداً - يجد شعر الغزل لا يليق به؟! أم يعد ماضيه وحاضره اللذين يصنّفانه في قافلة الدعاة إلى الله

وقبل الخوض في التفاصيل، أريد أن ألم إمامة سريعة بمجمل الديوان، وانطباعاتي عنه، في ملاحظات سريعة .
١ - أغلب قصائد الديوان يتحدث فيها الشاعر عن فلسطين عامة، والقدس بالذات خاصة، وهذا ليس غريباً، فهو من مواليد قرية المالحه قرب القدس سنة ١٩٣٣ م، هذا من جانب، وهو ذو خلفية إسلامية خالصة من جانب آخر، والقدس تشكل بُعداً إسلامياً، بالإضافة إلى البعد الوطني، الذي يتغنى به الوطنيون، فلا غرابة إذاً، إن وجدنا شاعرنا يجنح بنا في أغلب قصائده إلى القدس، حتى تلك التي يبدو ظاهرها غزلياً أو وجدانياً، تتحول بعد قليل إلى جانب الأرض، والوطن، والهَم العام لهذا الشعب .
٢ - بعض القصائد نشعر فيها بحرّ الدفقة الشعورية العارمة في البداية، ولكن ما تلبث أن تبرد هذه الدفقة، أو تتلاشى هذه الومضة، وتكتمل القصيدة بروح النظم، ويبدو فيها حرص الشاعر على تطويل القصيدة، مما يضعفها، ولو أنه اقتصر على الدفقة الأولى لكانت أجود .
٣ - بعض القصائد تشعر أنها من البداية ليست وليدة تجربة شعورية حقيقية، أو إحساس صادق بالحدث، وإنما نُسجت من أجل الرغبة في القول، أو مجازاة لحدث ما مسيطر على الساحة في وقته، فلا ينفعل به من

* شاعر أردني، من مواليد ١٩٣٣ م في قرية المالحه التابعة للقدس .

تظهر مهارة الشاعر في القصيدة العادية.. لكنه يجنح إلى شعر التفعيلة مجازاة للسائد

يتنافيان مع الإحساس بالحب، وورعشة القلب، والترنم بالغزل؟! لا أدري سببا وجيها يدفعه لذلك، وهو ليس في حاجة لأن أذكره أن الإسلام لا يعارض الغزل العنيف .

٧ - هناك قصائد

يبدوها بالوجدانيات، لكنه يضمن على الناس بمواصلة السير في قصيدته على هذا المنوال الرائع، فيهرب - أيضاً - إلى الوطنية والإسلامية، ولكأنني به يعد أن مهمته توصيل رسالة ما، وهو في سبيل هذه الرسالة يشد كل نسمة حانية تهب على قلبه وقلوبنا.

وأنا أخالفه الرأي هنا، كما خالفته هناك، فالوجدانيات لا تقل أهمية عن الشعر الدعوي أو الوطني أو السياسي، وكلنا نحتاج إلى ضروب الشعر كلها.

أما عن الديوان، فيقع في مئة وثلاث صفحات من القطع المتوسط، وقد حوى تسع عشرة قصيدة، أعجبتني منها القصائد التالية: (كلمات على حد السيف ص ١٩)، (الشجر المأسور ص ٢٥)، (الشهيد والفأس ص ٤١)، (إلى حفيدي بشار ص ٤٧)، (في ذكرى الهجرة ص ٥٥)، (الشهيد وشجرة الزيتون ص ٦٠)، (الدخول إلى التاريخ عن طريق الهجرة النبوية ص ٦٣)، (بطاقة من نوار لابنتي في العيد ص ١٠١).

ونلاحظ أن ثنتين من قصائده المشار إليها أنفا جاءت على روى الياء، والياء تشير إلى الملكية والخصوصية، وهذا الحرف مسبق بحرف النون، والنون حرف مجهور متوسط، فإذا التقى الحرفان - النون والياء - منحنا القصيدة خصوصية الالتصاق والحنو، والتشكيل الذاتي داخل النفس، مما يجعلها ألصق بالقلب.

وهناك قصيدتان ختمهما الشاعر بحرف الدال ملحوقاً بألف الإطلاق وهما (إلى حفيدي بشار ص ٤٧) و(بطاقة من نوار إلى ابنتي في العيد ص ١٠١). أما في قصيدة (في ذكرى الهجرة ص ٥٥) فنجدته قد خصص لها قافية حرف الهاء المسبوق بالألف، وكما هو معلوم أن حرف الهاء يستفرغ الهواء من الرتتين، فإذا سبق بالألف، منحنا السامع إحساساً بالتوجع والحزن، فكانت هذه القافية مناسبة لموضوع القصيدة، حيث جنح الشاعر فيها إلى تعديد مآسي المسلمين في هذه الذكرى العطرة، فجاءت القافية مشاكلة للـ (آه) التي يتوجع بها المحزون، وتلطف من حر اكتتابه. بينما كان روي قصيدة (الشجر المأسور ص ٢٥) والراء، و(الشهيد والفأس ص ٤١) الميم مع الألف، وكلها حروف لها جرس أخذ.

وتمتاز قصائد داود معلا ببراعة الاستهلال، الذي يأخذ بلب السامع أو القارئ من بداية القصيدة فنراه يقول في القصائد المشار إليها:

مُـدِي يـُدِيكَ فَمَا سـُـوَاكَ يـِرَانِي

أعدو وقد عصبوا يدي ولساني
(كلمات على حد السيف ص ١٩)

عَيْنَاكَ مَالِي أَنَادِيهَا.. فَتَعْتَذِرُ

تـُـوَمِي لِيَّ حِيَاءً ثُمَّ تَسْتَرُ
(الشجر المأسور ص ٢٥)

نَادِي تُرَائِكَ حِينَ ضَمَّ الْأَعْظَمَا

لله بعدك.. قد تركت اليثما
(الشهيد والفأس ص ٤١)

بشائر، والتفت الكلام قصيدا

وأطل عيـُـدَكَ يـَسْتَشِيرُ العِيـُـدَا
(إلى حفيدي بشار ص ٤٧)

حَسْبُ الْهُدَى أَنْ تَجْلِي فِيكَ مَعْنَاهُ

يا خَيْرَ مَنْ أَشْرَقَتْ بِالنُّورِ ذِكْرَاهُ
(في ذكرى الهجرة ص ٥٥)

لَيْتَكَ، وَارْتَعَشْتَ تَقْبَانِي

أوراقها الخضرا وتسقيني
(الشهيد وشجرة الزيتون ص ٦٠)

ولا يقتصر الجمال والحسن على بيت الاستهلال وحده، بل نجد في القصائد أبياتاً رائعة متفردة في جمالها ومعانيها، لما حوت من صور شعرية، وخيال خصب، ومن هذه الأبيات على سبيل المثال ما يلي:

والله لو زرعوا ثراك قنابلا

ومع القنابل ألف.. ألف جبان

لَفَقَاتُ عَيْنِ المَوْتِ مَلءَ عِيـُـوَمِهِم

ورميـُـتْ أَعْظَمُهُم إِلَى التِيْرَانِ
(ص ٢١)

فـرَأَيْتُ فِيكَ عَلَى المَدَى بُعْدَ المَدَى

وكتبت فوق جبينه.. عنواني
(ص ٢٢)

عَيْنَاكَ يَا قَدْسُ شَيْءٍ ثُمَّ يَجْذِبُنِي

فِيهَا فَتُغْرِقُنِي.. أَهْدَاهَا السَمَرُ

هات اعطني ساعة أنسل من ظمئي

في غورها فتلاقيني بها الدُرُرُ

(ص ٢٥)

لكن جرحك لا يغفر النزيف به

ما زال حول ضفاف النهر ينتظر

فأنت فينا وفي أطفالنا أبداً

وهل يخالف قلب الغيمة المطر

(ص ٢٧)

يتلفت الماضي على أشلائنا

فزعاً، ويرقب حاضراً مردوداً

(ص ٤٨)

نفاخر الناس بالتاريخ واعجبي

لم لا نبتت للتاريخ معناه

.....

ألم يضل بها الفاروق محتسباً

ألم تقبل أديم الأرض كفضاه

(ص ٥٨)

إذا اشتكى جبل من ربح عاصفة

كفاه هم الرياح الشامخ الجبل

(ص ٩٥)

رثسوا علينا بذار الموت . . . وانتظروا

فكل بذرة موت حولها رجل

(ص ٩٦)

وكما أن للشاعر أبياتاً رائعة في قصائده الجيدة، كذلك نجد أبياتاً دون

ذلك، أُلحقت بالقصائد إما لتحكم القافية في الشاعر، وإما لتطويل

القصيدة، وإما هبوطاً في مستوى الانفعال لذهاب الومضة أو فتور الدفقة

الأولى، فجاءت خالية من الفكرة الجيدة، أو الصور الشعرية الموفقة،

فكانت مجرد كلام مرصوف لحشو القصيدة ليس إلا.

ففي قصيدة «الشجر المأسور» يقول ص ٢٦ :

وهكــــــــــــذا أنت لا شيءٌ يعتريني

عما أراك به لا الــــــــــــدَّهْرُ لا العُصْرُ

وفي القصيدة نفسها يكرر في بيتين كلمة (السمع والبصر) هكذا:

مــــــــــــا إذا أرى وهمومي فيك تــــــــــــدفعني

إلى الجنــــــــــــون . . . وأيسن السمع والبصرُ

.....

يموت قبل وصول الموت ظالمنا

رعباً ويسقط منه السمع والبصرُ

مما أفقد القصيدة رونقها وبهاءها .

وفي قصيدة إلى حفيدي بشار ص ٥٢ يقول :

هم أجبن الجنــــــــــــاء لا تلقــــــــــــاهم

إلا ثــــــــــــعــــــــــــابــــــــــــينــــــــــــا تحوم ودودا

جينــــــــــــاء حتــــــــــــى في الظلام فيــــــــــــا تُرى

كيف استحالوا أنــــــــــــمراً وأسودا

كلام مرصوف لا جديد فيه، بل فيه تناقض، حيث إن الظلام وحده

كفيل بزعة الثقة، ولكنه هنا يعده دافعاً للشجاعة على غير المؤلف .

وفي القصيدة نفسها يقول ص ٥٢ أيضاً:

حَرَقُوا الرجال على الرمال وغادروا

صرح العروبة عاتماً مهدوداً

ماذا يقصد بالعموم هنا؟ هل يقصد عدم التماسك لهول الضربة؟ ولو كان

يقصد ذلك لكانت هائماً - بالهاء وليس العين - أقوى وأجود، فمن عادة

المتبل بكارثة أن يهيم على وجهه من الدهول، أما العائم فقد يكون متماسكا،

مدركاً لما يفعل، وهو كذلك، وإلا غرق، فكانت (عائماً) مضعفة للبيت

فوق ضعفه . وفي قصيدة «في ذكرى الهجرة» يقول ص ٥٩ :

عودوا فــــــــــــوالله إن النصر عــــــــــــودكم

عودوا لإســــــــــــلامكم ينصركم الله

أي شاعرية في هذا البيت؟ وما الفرق بينه وبين المواعظ التي تقال في

المساجد؟ لا شيء .

وفي الديوان أيضاً نجد قصائد قالها الشاعر متأثراً بغيره، وهو إما يصرح

بذلك، كما في قصيدة «صبر العراق» ص ٩٤، أو لا يصرح، لكنها تظهر في

ثنايا الأبيات، مثل قصيدة «بطاقة لابنتي نوار» ص ١٠١ التي يحاكي بها

القصيدة المغناة «غنية مكة» وهي التي تترنم بها المغنية فيروز - ولا أعرف

قاتلها - وقد تجلت المحاكاة في أكثر من بيت، وربما القوافي نفسها، وانظر

على سبيل المثال البيت الذي يقول فيه :

لا زهــــــــــــرةٌ ضحكــــــــــــتُ إلا ولــــــــــــوتها

عطــــــــــــرٌ على الزهــــــــــــر من أجفانها زيــــــــــــدا

والشاعر - كما أسلفت - له خلفية إسلامية، رسخها نضال لإعلاء كلمة الله، لاقى في سبيله ما لاقى، وهو إذ يترنم بالشعر، لا ينسى هذه الغاية الغالية، غاية تثبيت دعائم الإسلام، والدعوة لإقامة الدولة الإسلامية، وإحياء الخلافة الموقودة، وتربية شباب الإسلام، وسماهم وأوصافهم... فهو يقول:

تميل حَوْلَ شعاعِ الشمسِ أعظمُهُم
وتستوي في صلاة الليل إن سهروا
تشدُّ... فهي على الإيمان ثابتة
تعتدُّ... فهي بسيف الله تعتمر

(ص ٢٧)

عقيدة هي ماضينا وحاضرنا
وساعدٌ هو فينا الصارمُ الذكُرُ
فما على حُلْمِ الماضي جَحَافِلُنَا تنام
بل حاضِرٌ... يصفو ويعتكر

(ص ٢٨)

... والذي هزم الأحزاب ثم تلا
ها الروم... والفرس... والإفرنج والتمر
لا عزة لسوى الإسلام راغمة
أنوف من بدلوا عهداً ومن غدروا

(ص ٢٩)

ويشير إلى معاركتنا مع اليهود إشارات عصرية، وتاريخية، ونصية فيقول:
ذي جولة، وعلى التاريخ حاتمنا
يرأه من أقبلوا منهم ومن دبروا
أجدادنا شهداء الأمس تبغهم
أحفادهم... أفينجو الكافر البطر

(ص ٢٩)

.....
حتى نرى راية الإيمان تجمعنا
وينطق الشجر المأسور والحجر

(ص ٣٠)

إشارة للحديث المشهور عن المعركة الفاصلة مع اليهود، كما أخبر بها رسول الله ﷺ.

ويقول أيضاً - وفيه إشارة للتاريخ والمعتقدات -

ويهود تعجن بالدماء فطيرها

وتهر ألويرة لنا وبنودا

لم يشهد التاريخُ بعد محمد
أن اليهود تجاوزوا الأخـدودا
(ص ٥١)
وأما التصييق الذي يلاقيه الإسلاميون، فلم يغفل عنه، فيقول في قصيدة «في ذكرى الهجرة» ص ٥٨:

من نحن؟ هل ضاقت الدنيا بوحدتنا
حتى استباح حمى الإسلامى أشباه
الشرق يغزو حاننا في عقيدتنا
والغرب يسعى إلينا قاغراً قاه

ونكتفي هذه الناذج؛ لأن الاسترسال فيها يخرجنا عن حد الإشارة، وإلا فالديوان مليء بالتوجهات الإسلامية الواعية.

ومن الموضوعات الطريفة التي استوقفتني في الديوان، العلاقة بين المخبر والغراب، من حيث السواد في اللون، وموروث الشؤم، والعلاقة بينه وبين تراب الوطن. فهذا الذي جعل من التجسس على الناس مهنته وحياته، فهو دائم التجوال، مفتوح العينين والأذنين، ليلتقط الأخبار، ويختل الأصدقاء، ويسرق منهم همساتهم... منبؤ مكره، صورته في الذهن قرينة لصورة الغراب الأسود. وليس الأمر كذلك وحسب، ولكنه - أيضاً - منبؤ من الوطن، لا سيما وقد كثر دور هؤلاء في معاداة أهل الإيمان وكانوا أشواكا في حلوقهم، أو خناجر في خواصرهم.

فهذا المخبر اللعين، عندما أبلغ أسياده بوشايته برجل مؤمن، جاؤوا، فلم يجدوا عند التفتيش الدقيق من أدوات التجريم إلا المصحف!! فعادوا والخزي ملء عيونهم.

لكنه - أي شاعرنا - يراهن على طبيعة الحياة، الحياة التي لا تبقى أحداً على حال، فكيف بهذا المتواطئ، إذا انقلبت له الأمور، وطرد من جنة إبليس، ما مصيره؟ وأين يجد المأوى لعظامه؟ أفي تراب الأرض التي خانها؟ أم في أحضان الشعب الذي روعه في أبنائه، بل خيرة أبنائه؟ إنه عندما يلفظه أسياده مستغنيين عن خدماته، سيجد الناس أيضاً يلفظونه، بل والأرض ستلفظ هذه العظام النجسة، فالأرض طهور، ولا تقبل إلا الطاهرين.

بيد أن القالب الذي صاغ فيه الشاعر قصيدته لم يسعف الفكرة الطريفة، ولا الموضوع المهم الذي طرقة، فجاءت القصيدة ضعيفة فاترة، ولو أنه صاغ هذه الفكرة على غرار قصائده الرائعة من الشعر ذي الشطرين - الذي يُجسِّنه - لأبدع أيما إبداع، ولمنحنا قصيدة رائعة موضوعاً، وشعراً، لا تقل عن قصيدة هاشم الرفاعي - عليه رحمة الله - في ليلة التنفيذ، لكنه لم يفعل.

الاتجاه الإسلامي

في شعر سليمان بن سحمان

بقلم: ناصر بن سليمان الصماني

شاء الله أن تتوافر للشاعر الشيخ سليمان بن سحمان^(١) الصيلة بحائب كسب علمي شرعي وفير^(٢)، ليتبوأ مكانة متميزة تؤهله لأداء دور في غاية الأهمية في عصره، وهو تمكن عقيدة التوحيد والدفاع عن دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب، وشرح مبادئها القائمة أصلاً على العقيدة الإسلامية الخالصة، والرد على مناهناتها، وتفنيد حجج وأباطيل خصومها، وهو ما أهله لأن يكون شاعر الدعوة الوهابية بدون منازع^(٣)، و«حسان الدعوة السلفية»^(٤). فقد وظف ما يزيد على ثلث ديوانه وهو ما يشكل (٣٧٪) أي بواقع (٤١) قصيدة في ديوانه الذي يضم (١٢٠) قصيدة، وما يقارب ثلثي الديوان من حيث عدد الأبيات^(٥) في هذا المجال.

وإذا كان ابن سحمان قد بذل جل شعره في سبيل الدفاع عن مبادئ العقيدة الصحيحة التي قامت على أساسها دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله وجزاه عن خير الجزاء - التي واجهت هجومًا فكريًا شرسًا منظمًا من خصومها من المتدعة والمخالفة وأصحاب الأهداف السياسية وغيرها^(٦) متسلماً راية «المعركة الفكرية الدائرة بين قومه وأعدائه»^(٧)، فإنه يسير في أغراضه الشعرية الأخرى من مديح وهجاء ورثاء وشعر إخواني وسياسي في الاتجاه نفسه، وهو توجه إسلامي محمود واضح، يبيته لنا من خلال بعض أبياته التي يجسد فيها غايته من قول الشعر، ويحدد مسلكه، فهو لا يسعى إلى التكسب بشعره، أو يذل مدائحهم طلباً لنوال، أو طمعاً في مكانة أو منصب أو جاه، فقد أوقف مدائحهم على من أعلى من شأن هذا الدين، كما هجا من خالف هذا الدين. وجادل أهله، فهو «الشاعر الذي لا يبدو أي أثر لترويق أو تحسين المدائح يشم منه رائحة طلب الخاترة أو استعجالها»^(٨)، يقول^(٩):

أقول نعم إني بالشعر عارف إذا شئت أن أهجوه به من أناضله
وأبذل في ذات الإله قصائدي وأردي بها من شاع في الدين باطله
وما كنت مداحاً به متأكلاً ولا كنت ذمّاماً لمن قل نائله
خلا أنني أهجوه به ملحداً يجادلنا في ديننا ونجادله

وعده د. محمد بن سعد بن حسين من : «الشعراء [الذين] لا يذمّون إلا في الله»^(١٠). ولا يمدحون إلا في الله» فهو يبذل قصائده نصرة لأهل الحق، وخذلانا لأهل الشر، راجياً بذلك رضوان ربه - جلّ وعلا - وغفران ذنبه، وستر عيبه، يقول :^(١١).

وما كنت أهوى أن أرى متصداً
ولكنني أرجو به الفوز والرضى
وأطلبه غفران ذنبي وستره
لنصرة أهل الحق من كل قوائم
فهذا الذي اختاره متمسكاً
ومن كان لا يهوى انتصار ذوي الهدى
لأمدح أو للقليل ما أنا فاعله
وأرجو به الزلفى لدى من أسأله
لعبيبي وإعطاء ما أنا آمله
بذلك لا آلو وإني لبأذله
ويقضيه عقلي مسلكاً وأحاوله
وخذلان أهل الشر فالله خاذله

وفي معرض دفاعه عن الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - فيمن اتهمه بأنه يدعي النبوة، وأنه ضرب رجلاً أعمى كان يصلي على النبي (ﷺ)، يقول^(١٢):

أجسن في عقل امرئ منصف يرى
وقد شام ما يدعو إليه وماله
على من دعا غير الإله ومن نحا
تحيل ما تنمو إليه وتقتفي
بأن يدعي في باطن الأمر أنه
ودعواك في مزبور منك أمره
عليه صلاة الله ما هبت الصبا
فذا ظاهراً البطلان يعلم رده
فمهلاً عداً الدين ليس يشينه
فلن يضع الأعداء ما الله رافع
فقد شاع في غرب البلاد وشامها
تصانيفه اللاتي شهرن وما دعا
بنور الهدى ما قلت في العلم الفرد
هناك من التصنيف في العلم والفرد
طرائق أهل الكفر من كل ذي صدّ
عليه من البهتان في كل ما تبدي
نبي ولكن ليس يبيده للجنود
بقتل امرئ صلى على خير من يهدي
وما انبعثت ورق الحائم بالغرد
على أنه زور من القول في النقد
ملفق مزبور من المين لا يجدي
ولن يرفع الأعداء من كان بالضد
وفي اليمن الميمون والسند والهند
إليه من التوحيد للواحد الفرد

وابن سحمان في هذا الجانب «أوضح علم حاول أن يطوع لغة الشعر للجدل والنقاش العقدي . . مع إدراكه لصعوبة النقاش العقدي في الشعر وعرض الحجج . . .» (١٣)

وبين في بعض أبياته معتقد أهل السنة في نجد في مسألة أسماء الله وصفاته، في معرض رده على من اتهمهم بالتجسيم والتأويل، يقول: (١٤)

ونحن لم نَعُدْ آيات مبيّنة ونص ما قاله المعصوم حيث شفا
 إن الإله له الأوصاف كاملة حقيقة بمعانيها كما وصفنا
 فإنما وصفنا الله خالقنا بكل أوصافه، لم نبتدع جنفا
 كفرًا وجهلاً وتجسيمياً ومنقصاً فليشهّدوا أننا قلناه غير خفا
 وإن ذلك دين الله قال به من كان بالعلم والإنصاف متصفا

وفي الحقيقة إننا لو عرضنا قليلاً من كثير من القضايا التي تصدى لها ابن سحمان في شعره لظال بنا المقام، ولكننا نكتفي بما ورد، ونعرض لأشعاره الأخرى في موضوعات شتى تطفح بالمعاني الإسلامية. فهو يكشف في هذه الأبيات عن جانب من خلقه الرفيع، وتعامله المثالي مع الناس في محيط مجتمعه إذا كانوا من صحبه ولم يكونوا من أصحاب الردى والزندقة. يقول: (١٥)

ومن عادي والحمد لله وحده إذا ما أساء الظن بي من تلددا
 أغض عن العوراء طرقي وإنما (لكل إمري من دهره ما تعودا) (١٦)
 إذا كان من صحبي وقومي وشيعتي ولا كان زنديقاً ولا من ذوي الردى

وبتذلل وخضوع كبيرين، وانقياد تام للعزيز الحميد، يدعو الشاعر الشيخ سليمان بن سحمان ربه الغفور الرحيم. فيقول: (١٧)

أنا الذليل أنا المسكين ذو شجن أنا الفقير إلى رب السموات
 أنا الكسير أنا المحتاج يا أملي جد لي بفضلك واعف عن خطيئات
 أنا الغريب فلا أهل ولا وطن أنا الوحيد فكن لي في ملهات
 أنا العبد الذي ما زلت مفتقراً إليك يا سيدي في كل حالات
 لا أستطيع لنفسي جلب منفعة ولا عن النفس لي دفع المضرات
 مالي سواك ولا لي عنك منصرف ذكراك في القلب قرآني وآيات
 أنت القدير على جهري بموصلك لي أنت العليم بأسرار الخفيات

وقد كاد الرثاء في شعره يقتصر على العلماء الذين نشروا العلم الشرعي وتصدوا لإزالة المنكرات ، يقول في رثائه لأحدهم راضياً بقضاء الله وقدره : (١٨)

حَبْرٌ تَقَضَّتْ بِهِ الْأَيْمَامَ وَأَنْصَرَمَتْ
لِمَا نَمَى مَوْتَهُ النَّاعُونَ أَنْ بِهِ
طَاشَتْ حُلُومُ ذَوِي الْأَبْجَابِ وَأَنْصَدَتْ
وَضَافِنَا بَعْدَهُ هَمٌّ فَأَرْقَنَا
إِنِّي وَقَدْ أَظْلَمْتُ كُلَّ الْبِلَادِ وَقَدْ
وَفَاضَ فِي النَّاسِ هَذَا الْجَهْلُ وَأَنْدَرَسَتْ
مَنْ فَقَدْ كُلَّ إِمَامٍ جَهْبَذَ ثِقَةَ

ويقول في رثاء عالم آخر معدداً مآثره في العلم والعمل الصالح : (١٩)

فَعَبَدَ اللَّطِيفَ الْحَبْرُ أَوْحَدَ عَصْرِهِ
لَقَدْ كَانَ فِخْرًا لِلْأَنْبَاءِ وَحِجَّةِ
إِمَامًا سَمَا مَجْدًا إِلَى الْمَجْدِ وَارْتَقَى
تَصَدَّى لِرَدِّ الْمُنْكَرَاتِ وَهَدَى مَا
فَأُضْحَتْ بِهِ السَّمْحَاءُ يَبْسُمُ ثَغْرَهَا

وهذا الملمح الإسلامي البارز يلون معظم قصائده ، فهو إذا تذكّر الماضي ، لم يتذكّر منه إلا تلك المعاهد النيرة والرياض الزاهية المعطرة بتخلق طلبة العلم حول شيخهم يتهللون من معين العلم والمعرفة ، يقول : (٢٠)

تَذَكَّرْتُ وَالذِّكْرَى تَهِيحُ الْبَوَاكِيَا
مَعَاهِدَ كَانَتْ بِالْهَدَى مُسْتَنِيرَةً
وَأَرْضَهَا بِالْعِلْمِ وَالِدِينَ قَدْ زَهَتْ
وَقَدْ أَيْبَعَتْ فِيهَا الثَّمَارَ فَمَنْ يُرِدْ
وَأَنْهَارَهَا لِلرَّادِينَ شَرِيعَةً

وهو في مواعظه يجذّر من الغفلة والانغاس في ملذات الدنيا، وعدم الاستعداد للرحيل إلى دار القرار والجزاء، يقول: (٢١)

أغرّتك دنياك الدنية راضياً بزهرتها حتى أبحت المحرماً
تروق لك الدنيا ولذات أهلها كأن لم تصر يوماً إلى القبر معدماً
خلياً من المال الذي قد جمعته وفارقت أحباباً وقد صرت أعظماً
ولما تقدم ما ينجيك في غمد من الدين ما قد كان أهدي وأسلماً

وبعد فقد كان الشاعر الشيخ سليمان بن سحمان طوال سنين عمره الذي قارب الثمانين عاماً مثلاً مشرفاً للشاعر الملتزم المتمثل قيم الإسلام.

كان دينه هو همّه وشغله الشاغل، وفي هذه الفلك كانت تدور أشعاره التي يتضح كل بيت فيها، بل كل كلمة بريق المعاني النيرة والتعاليم السهاوية، فقد كان شعره دفاعاً عن العقيدة، وتقريراً لمبادئها، ونصحاً للغافلين، وثناءً على من أعلّى شأن هذا الدين، وهجاءً للمبتدعة والمنحرفين والعاصين. فهو امتداد لكوكبة من الشعراء الإسلاميين الذين بذلوا شعرهم، وسخروا طاقاتهم لخدمة هذا الدين وأهله مؤكدين على دور الشعر أهداف السوي في إصلاح المجتمعات، ونشر الوعي بينهم. فهذا السلاح المؤثر إذا خرج من غمده فهو نصره للدين الإسلامي القويم أو على الأقل لا يكون عوناً للشيطان وأهله، وإلا فيلظ في غمده إلى الأبد.

الهوامش

- (١) ولد سليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان الفرعي الخثعمي في بلدة «السقا» بفتح السين أو ضمها من قرى أبها، في جنوبي المملكة العربية السعودية سنة (١٢٢٩ هـ) ثم التقى مع والده إلى الرياض وظل بها حتى توفي - رحمه الله - سنة ١٣٤٩ هـ عن ثمانين عاماً قضاها في التدريس والتأليف والجهاد الفكري.
- (٢) فهو من كبار العلماء في نجد، وصاحب تأليف قيمة نافذة عن (٥٠) مؤلفاً.
- (٣) اتجاهات الشعر المعاصر في نجد، د. حسن الهويمل، مطابع الفرزدق، الرياض - الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ، ص ١٥٥.
- (٤) قادة الفكر الإسلامي عبر القرون، عبد الله الرويشد، رابطة الأدب الحديث، الطبعة الثانية (د. ت) ص ٤٧١.
- (٥) حيث بلغت (٥٠٨٩) بيتاً من أصل مجموع أبيات الديوان البالغ (٨٢٣٩) بيتاً.
- (٦) انظر: ما كتبه عبد الرحمن بن عبد اللطيف في «دعوى المناوئين لدعوة الإمام محمد بن الوهاب» دار طيبة، الرياض، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م، صفحات ٧١ - ٧٤ حيث توسع في ذكر الدوافع المختلفة التي جعلت هؤلاء يتلون من الدعوة.
- (٧) الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية، د. بكرى شيخ أمين، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٦ م، ص ٦١.
- (٨) الشعر في ظلال دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب، د. عبد الله الحامد، دار الكتاب السعودي، الرياض، ١٤٠٦ - ١٩٨٦ م، ص ١٢٦.
- (٩) الديوان، مطابع الأهرام، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٧٧ م، ص ١٧٧.
- (١٠) الشيخ محمد بن عبد الله بن بليهد، د. محمد بن سعد بن حسين، دار البيامة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م - الجزء الأول، ص ٣٥٤.
- (١١) الديوان: ص ١٨٧ (١٢) المرجع نفسه، ص ٥٢.
- (١٣) الشعر في ظلال دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب، الحامد، ص ١١٣. (١٤) الديوان: ص ١٣٢. (١٥) المرجع نفسه، ص ٣٧٤.
- (١٦) هذا شطر بيت تلمتسي وعجزه: «وعادات سيف الدولة الطعن في العدا»، ورواية أخرى: «وعادة»، شرح الديوان للدهوفي، دار الكتب العربي، بيروت، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م، الجزء الثاني، ص ٣.
- (١٧) الديوان: ص ٣٤٦ (١٨) المرجع نفسه، ص ٤٧١. (١٩) المرجع نفسه، ص ٤٩٤.
- (٢٠) المرجع نفسه، والصفحة نفسها (٢١) المرجع نفسه، ص ٢٨١.